دواعي التنكر في العصر الفاطمي

(358 – 566هـ / 969 – 1171م)

The Reasons disavowal in the Fatimid period

(1171 – 969 AD / 566 – H) Historical study

أ.بسمة ميلود مفتاح الساعدي

كلية الاداب الاصابعة – جامعة غريان – دولة ليبيا

.Zzelo4952@gmail.com

تاريخ الاستلام:
2025/05/13م.
القبول:
2025/05/22م
تاريخ النشر:
2025/06/ 01م

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث موضوع التنكر في العصر الفاطمي بالتحديد دواعيه ، بوصفه أحد الأساليب التم تم الاعتماد عليها من عدد من رجال السلطة والمعارضة على حد سواء ، لكونه مثل المسلك الوحيد لتحقيق غايات يصعب بلوغها بالظهور والتحرك بالشكل الحقيقي لاقتران ذلك بفشل التدبير ، لذا نقرأ أن نجاح التنكر يستلزم اختلاف طبيعته من حيث تغيير الهيأة والملبس والمكان والاسم أحياناً ، بل والتنكر حتى بشكل وزي امراة ، إن

تطلب الأمر .

تجدر الإشارة أن البحث يعرض لدواعٍ مختلفة للتنكر ، ويكشف عن غايات عديدة يصبو إليها شخص المتنكر منها النجاة بالنفس وحبس النبض والفتح ، وعمل الخير دون مرا آت ولقاء الحبيب وغيرها .

الكلمات المفتاحية : التنكر - التلثم – الهيأة – حبس النبض – النجاة بالنفس – التخفي – السلطة – الزي .

Abstract

This study examines the issue of disavowal in the Umayyad Fatimid era and specifically the reasons , as one of the methods that have been re led upon by a number of men of power and the opposition – alike – because it represented the only path to achieving goals that reach the emergence of moving and moving in a real way to associate this with the failure of the measura , so we read that success Disguise necessitates a different nature in terms of changing the body , clothing , place name – sometimes – and even disguising even in the dorm of a woman – if necessary –

It should be noted that the research presents Various reasons for disguise , and it reveals many goals that a disguised person aspires to , including self – survival , feeling the pulse , depositing awe in the soul , attaining victory and conquest , and doing good without mirrors , meeting the beloved and others .

المقدمة :

لا شك أن التنكر يمثل نمطاً من الحيل يلجأ إليه الإنسان لضرورات أملتها عليه الظروف المحيطة به ، فهو بارتدائه الملابس الغريبة ووضعه المساحيق المزينة لتغيير شكله أو هيئته وصولاً إلى تحقيق التغيير المطلوب في المظهر العام لأجل التخفي ، إنما سلك هذا المسلك اضطراراً لا استحباباً بهدف الوصل إلى غايات لا يمكنه بلوغها اعتماداً على شكله الطبيعي .

وبإطلاله على مجريات التاريخ الإسلامي المليئة بهذا النوع من أنواع التخفي ، لاسيما العصر الفاطمي الذي بدأ دعوة سرية كان يتنكر أفرادها من أجل نشر المذهب الشيعي .

ولقد عرف التنكر في العصر الفاطمي في أحداث كثيرة وكان تنكرهم لأسباب ودوافع اقتصادية وسياسية أو أمنية أو إجرامية من أجل السرقة .

إلا أنه بلا ريب شكل وسيلة مهمة لتحقيق المآرب وإن اختلفت المقاصد والدواعي من اجل تسليط الضوء على هذه الظاهرة التي انتشرت في العصر الفاطمي وما يندرج تحتها من أمثلة ومضامين آثرت جعله موضوعاً لبحثي الموسوم : (دواعى التنكر في العصر الفاطمي (358 – 566هـ / 969 – 171م)) ، دراسة تاريخية ، والذي اقتضت طبيعته أن يحتوي على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة .

- **أسباب اختيار الموضوع :**

1- تسليط الضوء على العواقب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية للتنكر في العصر الفاطمي .
2- تصنيف تسجيل ممارسات التنكر في الحقبة الفاطمية .
3- توثيق أشكال ودوافع التمويه في العصر الفاطمي .
4- رغبة الباحثة في إجراء دراسة شاملة ومتعمقة للموضوع .
5- بيان التأثيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للتنكر في العصر الفاطمي .
6- على الرغم من وجود العديد من الدراسات حول التنكر في العصر الفاطمي ، ولكن لا توجد دراسة شاملة تتناول هذه الظاهرة بعمق .

- **الإطار الزماني والموضوعي للدراسة :**

أولاً : الإطار الموضوعي :

تتناول الدراسة دواع التنكر في العصر الفاطمي أسبابه ودوافعه وأشكاله وأثاره .

ثانياً : الإطار الزمني :

تعطي هذه الدراسة المدة التاريخية بين عامي (358 – 566هـ / 969 – 171م) في مصر وبلاد المغرب وغيرها من البلدان التي وقعت تحت السيادة الفاطمية .

- **منهج الدراسة :**

اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي الوصفي في هذه الدراسة ثم تصنيفها وتحليل الذي يمكن تحليله منها للوصول إلى نتائج تتناسب مع ما تم التوصل إليه من معطيات .

- **الدراسات السابقة :**

1- تيسير محمد محمد شادي : الفساد في الدولة الفاطمية (سياسياً – اجتماعياً – اقتصادياً – إدارياً) ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة .

تناولت الباحثة في دراسة ظاهرة الفساد ، وتحدثت فيها عن الفساد السياسي والإداري وركزت على فساد الخلفاء وتدخل النساء في أمور الحكم وأيضاً فساد الوزراء ورجال الدولة ، وأيضاً بعض المشاكل الاجتماعية مثل السرقة ، والخمر ، وانخفاض العملة .

2- وسيم عبود : التنكر في العصر الفاطمي ، دراسة تاريخية (358 – 567هـ / 968 – 171م) ، مجلة كلية التربية بنات ، جامعة الكوفة ، العدد 53 ، 2019م .

تحدثت فيها الباحثة عن أنواع التنكر وأشكاله .

3- محمد حسين محاسنة : ثورة أبي ركوة ضد الخلافة الفاطمية (395 – 3897هـ / 1005 – 1007م) ، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، قطر ، العدد 23 ، 2000م .

تكلم فيها البحث في دراسته عن ثورة أبي ركوة ضد الفاطميين ، التي طالت لفترة كبيرة أرهقت الخلافة الفاطمية .

أولاً : التمهيد :

يتناول التمهيد تعريف التنكر من حيث اللغة والاصطلاح :

التنكر لغةً :

يعني التغيير ، فيقال تنكر أي تغير من حال معلوم إلى مجهول [1] .

أما تعريف التنكر من حيث الاصطلاح :

فهو حالة من التواصل يبدو فيها الشخص في هيأة غير هيئته الطبيعية بدافع الاضطرار [2] .

وقد تناول التمهيد أيضاً نبذة مختصرة عن التنكر قبل العصر الفاطمي ، لقد استخدم التنكر منذ قديم الزمن ، لاسيما في عهد الرسول ﷺ عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة تنكر علي بن أبي طالب ﷺ في ملابس رسول الله ، ونام في مكانه من أجل رد المشركين عنه ، وعندما اجتاح المشركون بيت رسول الله وجدوا علياً مرتدياً ملابسه ونائماً في فراشه فاذهبوا عنه [3] .

وطبق التنكر أيضاً في العصر الأموي ، عندما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة متنكراً ومتلثماً بعمامة سوداء ، حيث ظن أهل الكوفة أنه الإمام الحسين ، حتى كلما مر على جمع منهم قالوا له عليك السلام يا بن بنت رسول الله حتى وصل إلى قصر الإمارة [4] .

وقد أوعى ابن طولون الناس على حيل التنكر والتجسس (270 – 254هـ / 868 – 884م) ، عندما تغير على نعيم المعروف بأبي الذيب ، فهرب منه فأمر بطلبه فقال للجنود ابحثوا عنه في الديارات وعند النصارى ، فسوف تجدوه في زي راهب وقد دخل في جملتهم لأنه حاذق بالقبطية فصيح به ، فلما رآه قال له : ما هذا الزي ؟ فقال : تسترت بهذا الزي لأخفي ولكن أين أين يتهيأ لي استتار منك ولغيري [5] .

وقد استخدم الأخشيد أسلوب التنكر الاضطراري خوفاً على حياته من القتل [6] .

المبحث الأول : أسباب ودوافع التنكر :

فقد كانت هناك أسباب كثيرة للتنكر ومنها :

1- الدوافع السياسية :

التي كانت من أهم الدوافع ومن الأسباب التي كانت الناس تدفعها لتنكر معارضتهم للنظام ، فيقومون بالتنكر من أجل التخفي وعدم التعرف عليهم حتى لا يتعرضون للعذاب أو القتل ، ومنهم أم المعز الفاطمي التي تنكرت وهي في طريقها إلى الحج حتى لا يتعرف الأخشيد عليها في مصر ويقبض عليها (7) .

وعندما تفاقمت العلاقة بين الحاكم بأمر الله والحسين بن داوس ، بسبب محاولته لقتله مرات عديدة ، مما جعله لا يحضر القصر خوفاً منه ، فدبر مؤامرة مع مجموعة من أهل البوادي بمصر لقتل الحاكم وبعد ما تم قتل الحاكم ندم على ما فعله فأصبح متنكراً في منزله لا يخرج ولا يرى أحد (8) .

واستخدم التنكر بدوافع سياسية في فترة الحروب الصليبية مع الفاطميين ، مما اضطر حاكم مملكة بيت المقدس (بلدوين الأول) إلى استخدام أسلوب التنكر والهروب في الليل إلى مدينة يافا من حصن الرملة (9) .

ولما أنهار حكم الوزير (شاور بن محير السعدي) قام بالتنكر وهرب من القاهرة إلى بلاد الشام عام (558هـ – 1162م) بعد أن تنافس على الوزارة مع أبو الأشبال ضرغام بن عمر بن سوار المنذري (10) .

وقد تنكر عبد الله المهدي وابنه أبو القاسم محمد في ملابس التجار من أجل التخلص من مطاردة والي مصر ورجاله عيسى النوشري الذي أمر في طلبهم فلم يعرفوهم لأنهم تخفوا في زي التجار (11) .

وقد استخدم التنكر من قبل الإمبراطور البيزنطي (رومانوس الثالث) حرصاً على حياته لخوفه في الوقوع في الأسر أو التعرض للقتل على يد الفاطميين أو المرداسيين في المعركة التي وقعت في الشمال الشرقي في حلب عام (421هـ – 1030م) .

ويحكى أن أم الوزير الأفضل بن بدر الحجالي عند ما كان ابنها في مهمة القضاء على النزارية في الإسكندرية كانت تختفي بين الناس في الأسواق والجوامع وهي متنكرة فتسمع ما يقول الناس في الأفضل ولما عاد ابنها الوزير يعاقب المسئين له ويكرم المحسنين (12) .

2- الدوافع الاجتماعية :

بدافع تتبع الانحرافات الاجتماعية في المجتمع عرف هذا النوع من التنكر في العصر الفاطمي ، فقد كان في عهد الحاكم بأمر الله مجموعة من النساء العجائز يقومون بالتنكر بأمر الحاكم ، فكانوا يطفن البيوت من أجل معرفة النساء العابثات ، وذلك من بعد إغلاق بيوت الدعارة لكي يعلم هل لازالت هناك نساء تعمل في هذا المجال أم لا ، فكانت تلك العجائز ينقلن له أخبار تلك النساء بعد تنكرهن (13) .

وقد يكون التنكر بدافع الزواج ، ومن أمثلة ذلك ما فعله الآمر بحكم الله الفاطمي توفي (524هـ – 1130م) فقد تنكر في زي رجل من الأعراب من أجل رؤية امرأة بدوية في الصعيد لأنه كان يعشق الجواري

وشغوفاً بهم ، فتنكر بزي الأعراب وبدأ يبحث في كل الأماكن حتى انتهى إلى حيها ، فلم يمتلك صبراً وعاد على دار ملكه وأرسل لخطبتها وتزوجها (14) .

3- الدوافع الاقتصادية :

وهذا التنكر هو بدافع تحقيق مصالح اقتصادية للفرد ، فقد استغل بعض الأشخاص غيبة الحاكم بأمر الله عام (411هـ – 1020م) فقد تزينوا في زي الحاكم وكان كل واحد منهم يدعي أنه الحاكم فكانوا يختفون للناس في الجبال ويأخذوا منهم الدنانير (15) .

وقد حدث هذا التنكر من قبل رجل يدعي (شروط) وكان يشبه الحاكم بأمر الله شبهاً عجيباً ، فلما مات الحاكم أدعى إنه هو ، وكان يجبى الأموال باسمه ، فقامت الدولة بأمر رجالها للقبض عليه ولكن لم تتمكن منه ، لأنه كان يختبئ هو ورجاله في مغارات الصعيد ، ولقب نفسه بأبو العرب ، وبقت ثورته مستمرة على طول عهد الظاهر لإعزاز دين الله توفي (427هـ – 1036م) حتى أوهم الناس أنه الحاكم ، وسبب إخفاءه وتنكره لأمر غامض لا يعرفه إلا هو ، حتى أخذ يجبى الأموال من الناس على أنه الحاكم (16) .

4- الدوافع العسكرية :

وهنا كان يلجأ الفرد للتنكر لكسب معركة أخرى لنفسه إذا انهزم في معركته ، ومن أمثلة ذلك عندما تنكر (بلدوين الأول) عندما هرب في المعركة أمام الفاطميين ، وهرب في الظلام إلى مدينة يافا ، ثم حاصرته القوات الفاطمية بقيادة شرف المعالي ابن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في أعقاب معركة الرملة عام (495هـ – 1101م) (17) .

ومنها أيضاً تنكر مؤتمن الخلافة جوهر الذي أعطى رسالة لرسول ليوصلها إلى عمورية الأول ملك بيت المقدس يطلب منه فيها أن يعينه على صلاح الدين الأيوبي ، وكان الرسول متنكراً في زي متسول ، ولكن أخفى الرسالة في حذاء جديد لا يتماشى مع زي المتسولين ، فكشفه صلاح الدين الأيوبي لمظهره عندما أحضر واليه خلع الحذاء فوجد الرسالة (17) .

وتنكر الوزير شاور الذي هرب من المعركة أمام ضرغام متنكراً حتى ذهب لبلاد الشام للاستنجاد بأهل الشام لمساعدته فيعيدوه إلى الوزارة مرة أخرى (18) .

5- الدوافع الفكرية :

وكان الهدف منه هو نشر مذهب أو فكر معين ، مثل ما حدث مع الفاطميين في نشر دعوتهم للمذهب الشيعي في مصر والمغرب ، فكانوا أصحاب هذا المذهب يتنكرون في زي تجار أو نساء لكي ينشروا دعوتهم ، ومن أمثلة ذلك تنكر عبد الله المهدي وابنه أبوالقاسم محمد الذي تنكروا في زي التجار من أجل التخلص من مطاردة رجال والي مصر عيسى النوشري (19) .

وتنكر عبيد الله المهدي أيضاً عند ما هرب إلى مدينة سلجماسة من مدينة سلمية ، متنكراً في زي تاجر مرة وزي معلم يعلم الصبيان مرة أخرى ، حتى يتم إخفاء دعوتهم عن العباسيين (20) .

وقد كانت هذه الدوافع مرتبطة بغايات في نفوس المتنكرين كانوا يسعون لتحقيقها ، ومن أهم هذه الغايات فعل الخير ، كما فعل الحاكم بأمر الله عندما أعطى أوامره للعجائز بالتنكر لكشف المفاسد في المجتمع ، وأيضاً تنكر الخليفة الظاهر فطاف متنكراً وأعطى للمجانين خمسين درهماً ، وللمقيمين عليهم خمسمائة درهم (21) .

ومن تحقيق الغايات أيضاً تحقيق غاية النصر ، والمتمثلة عند دعاة الشيعة عندما كانوا يتنكرون من أجل أن يصلوا إلى مرادهم ويحققوا انتصارات التي كانوا يحلمون بتحقيقها ومن أمثلة ذلك خروج الخليفة العاضد متنكراً إلى شيركوه لتخليصه من الوزير شاور ويخلص البلاد من شره (22) .

المبحث الثاني : أنواع التنكر :

خصص هذا المبحث لدراسة أنواع التنكر ومن أهمها : التنكر الإجرامي ، التنكر المهني ، التنكر الترفيهي ، التنكر الاضطراري .

1- التنكر الإجرامي :

الهدف منه السرقة واللصوصية ، وهو التنكر الذي كان يقوم به المجرمين واللصوص من خلال الملابس أو الهيئة أو أي وسيلة من الوسائل للقيام بجرائمهم ، سواء كانت تخص سرقة الأفراد أو الدولة في حد ذاتها .

فقد أرسل العزيز بالله الفاطمي توفي (386هـ – 996م) مجموعة من رجاله ذوي الشجاعة والجرأة وأمرهم أن يتنكروا وأرسلهم لسرقة السبع الفضة الذي على صدر (صور) زبزب عضد الدولة في بغداد (*) .

فذهب رجاله إلى بغداد وسرقوا ما طلب منهم ، فتعجب الناس منه ، وقلبوا الأرض بالبحث عن ما فعل ذلك وما جرى عليه الأمر من سرقته فلم يوقف له على خبر (23) .

وكثرت حالات التنكر الإجرامي مع ظروف الأزمة الاقتصادية بمصر عام (433هـ – 1041م) فقد كانوا اللصوص في أزياء الفقيرات لسرقة العابرين للطرق المحملين بالبضائع (24) .

2- التنكر المهني :

والمقصود به تنكر في العمل أو مهنة معينة أو التنكر في زي أصحاب المهن من أجل التخفي عن أعين الناس ومنع أنظار المطالبين بهم ، ومن أمثلة ذلك تنكر الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي بزي تاجر أثناء فراره من مدينة سلمية إلى سلجماسة من أجل التخفي من العباسيين (25) .

وقد ذكرت المصادر أن أبو عبد الله الشيعي بعث رسالة إلى عبد الله المهدي وهو في سجنه بسلجماسة يبشره بالنصر وسير الكتاب مع بعض ثقاته ، فتنكر على هيئة قصاب يبيع اللحم ودخل عليه فاجتمع به وعرفه الرسالة (26) ، أيضاً استخدم هذه الطريقة للتنكر أبو العباس محمد بعد القبض عليه من زياد بن الأغلب في مدينة القيروان واتهامه بالتشيع فأنكر ذلك وأدعى أنه رجل تاجر (27) .

3- التنكر الترفيهي :

فهذا النوع من التنكر كان يستخدم في الاحتفالات والمناسبات العامة في الدولة ، فقد كانت السلطة الفاطمية تحب أن تشارك العامة أفراحهم مثل هذه المناسبات ، فقد كانوا يلجئون إلى التنكر من أجل تغيير مظهرهم ومشاهدة تلك الاحتفالات بين الناس ، وقام بذلك الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فذكر أنه جاء متنكراً في أحدى الاحتفالات في ليلة الحميم وشاهدهم وكان لأهل مصر وأهل الملك والمذهب في هذا العيد من الطيبة والفرح ما لا يكون في غيره من أيام السنة فأحب الحاكم أن يرى ذلك بنفسه (28) .

وقلده في ذلك الخليفة المستنصر بالله (427 – 487هـ / 1035 – 1094م) عندما يخرج مع نساءه وخدمه إلى جب عميرة وهو موضع لتنزهه وكان يتنكر في زي الحج (29) .

4- التنكر الاضطرابي :

وكان يستخدمه الأفراد في الحروب والثورات والفتن ، من اجل الهروب من القتل أو الأسر ، فقد استعان أحد قادة المنسوبين إلى القرامطة في أثناء حملتهم على مصر عام (363هـ – 973م) فتنكر في زي ليبدو كأنه بدوي من أجل حتى لا يتم القبض عليه من الفاطميين وقد تم الاتفاق على ذلك مع أحد أشخاص البدو (30) .

أيضاً تنكر بلدوين الأول من أجل الفرار من الحصار الذي فرضه عليه الفاطميين ، أيضاً كما فعل الوزير شاور عند ما خرج متنكراً مضطراً إلى الشام فاراً من الوزير ضرغام (31) .

المبحث الثالث : أشكال وأساليب التنكر :

خصص هذا المبحث لدراسة الأساليب والأشكال التي كانت تستخدم للتنكر سواء من ناحية التنكر بالملابس أو بالمظهر ، فمثلاً يتنكر الشخص بأنه أعمى أو متسول أو مجنون أو أعرج ، وهذا ما قام به العالم الحسن بن الهيثم عند ما تنكر وأدعى أنه مجنون ، التخلص من قوة وجبروت الخليفة الحاكم بأمر الله ورجاله وموظفيه (32) ومن هذه الأشكال والأساليب ما يلي :

1- التنكر بالمظهر الجسدي :

من قبل بعض الأفراد من أجل تحقيق مصالح شخصية ، ومثال على ذلك ما قام به بعض الأشخاص عندما استغلوا شبههم القوي بالحاكم بأمر الله الفاطمي وقاموا بادعائهم أنهم هو من اجل جمع الأموال من الناس ، أو من أجل تحقيق مصالح شخصية لهم ووصولهم إلى كرسي الحكم فقد خرج شخص يسمى (سكين) في عام (434هـ – 1042م) وخاصة أنه استعمل شبهه الكبير بالحاكم بأمر الله ، فقد كان يرتدي زي الحاكم ويركب الحمار ، وأقنعهم وأقنع الناس أن بعد موته عاد من غيبته فدخل هو واتباعه إلى

القصر الفاطمي ، ثم دارت بين الفريقين معركة كبيرة انهزم فيها اتباعه ثم قبض عليه هو وجماعة من اتباعه (33) .

2- التنكر بالملابس والأزياء :

كما يعرف في ذلك العصر كانت كل فئة من الناس لها أزياء وملابس معينة تلبسها ، فكان الأمر سهلاً لمن كان يريد التنكر والهروب من السلطة أن يرتدي زي بعض تلك الفئات حتى لا يعلم مكانه ، وأكبر مثال على ذلك عندما تنكر عبد الله المهدي وابنه أو القاسم محمد بزي التجار وذلك حتى لا يقعوا في الأسر (34) وتنكر أيضاً أبي ركوة الثائر الأموي الوليد بن هشام من عبد الملك في زي النصارى من اجل الهروب من جيش الحاكم بأمر الله ولكن تم القبض عليه وتم أخذه إلى القاهرة أسيراً (35) .

وتمكن الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين ، الهروب من بطش وجبروت الحاكم بأمر الله بالتنكر في زي رجل حمال واستطاع الفرار إلى بلاد الشام مصر والتجأ إلى أميرها المفرج بن دغفل بن الجراح (36) .

وتنكر المعز بن باديس في زي امرأة حتى وصل إلى مدينة المهدية بعد أن تم حصار مدينة القيروان سنة (446هـ – 1054م) (37) .

3- التنكر بالهروب والتخفي :

هذا النوع من التنكر هو عبارة عن وسيلة كان يستخدمها المعارضون للدولة لكي لا يقعوا في الأسر وذلك بالاختفاء عن الأنظار ، وقد استخدم هذا النوع دعاة الشيعة وذلك خوفاً من الوقوع في الأسر ، فأصبحوا في حالة تنقل دائم من أجل الفرار من السلطات (38) .

فعبد الله الشيعي كان متخفياً متنكراً دائماً من أبي عبد الله المهدي الذي حاول التخلص منه ، لذلك اضطر أبي عبي الله الشيعي إلى التنكر والتخفي وذلك بتغيير مكان إقامته بشكل مستمر ، حتى انه أصبح مدة كبيرة لم يستطيع خلالها أبي عبد الله المهدي العثور عليه إلى أن بلغ فيه أحدهم فتم القبض عليه من أبي عبد الله المهدي (39) .

المبحث الرابع : الآثار العامة للتنكر :

1- الآثار السياسية :

فقد كانت هماك آثار سياسية كبيرة في هذا العصر ، فقد ساهم تنكر دعاة الشيعة من الدولة العباسية في نشر دعوتهم ومذهبهم ، حتى أدى ذلك إلى قيام دولتهم بالمغرب ومصر .

عندما تنكر عبد الله المهدي هرب من يد العباسيين إلى مدينة سلجماسة كان له أثر سياسي وديني ، فالسياسي فقد أعطى لهروبه فرصة أخرى لنشر دعوتهم في مكان آخر بعيد عن أنظار المطالبين بهم ، وأما الديني فهو نشر المذهب فهو نشر المذهب الشيعي في ربوع المغرب ثم انطلاق الدعوة إلى مصر (40) .

ومن الآثار السياسية أيضاً للتنكر تفويت على الفاطميين الفرصة من التخلص من بلدو بن الأول حاكم بيت المقدس ، الذي هرب منهم متنكراً ليلاً إلى مدينة يافا (41) .

وقد أعتمد عامة الناس من أهل مصر في العصر الفاطمي إلى وسيلة أخرى لتنكر والذي كان لها أثر سياسي ومن خلالها استطاعوا أن يوصلوا صوتهم للسلطة الحاكمة دون أي عقوبات تقع عليهم ، فعندما قام عيسى بن نسطورس ، بمحاباة النصارى وأبناء عمومته وعينهم في المناصب التنفيذية في مصر ، وأيضاً معاملتهم للرعية وإسائتهم لهم من خلال سياستهم التعسفية ، فاضطر العامة لاستخدام وسيلة تنكرية حتى يوصلوا شكواهم للخليفة العزيز بالله الفاطمي فانتهزوا الفرصة أثناء تجوله في مدينة القاهرة ، فقاموا مبخرة من الجريد وألبسوها ملابس النساء وضعوا في يدها قصة كتب فيها بالذي أذل النصارى بسطورس وأعز اليهود بمنشأ وأذل المسلمين بك ، إلا ما رحمتهم وأزلت عنهم هذه المظالم (42) .

2- الآثار الاجتماعية :

فقد كان للتنكر آثار اجتماعية في العصر الفاطمي ، فلقد استخدم التنكر في الزيجات ، يقوم الشخص بالتنكر من أجل أن يرى عروسه ، كما فعل الخليفة الآمر بأحكام الله عندما تنكر من أجل امرأة من الصعيد ولما رآها وأعجب بها أرسل لطلب الزواج بها (43) .

ومن الآثار الاجتماعية الإيجابية ما فعله الحاكم بأمر الله من استخدام النساء العجائز للتنكر لرصد السلوكيات الاجتماعية في المجتمع من أجل تنقية المجتمع منم الآثار الاجتماعية الفاسدة التي كانت منتشرة في العصر الفاطمي (44) .

3- الآثار الدينية :

ومن الآثار الدينية للتنكر هو نشر المذهب الشيعي ، فقد قام هذا المذهب بسبب دعاته الذين اتخذوا التقية وسيلة من أجل نشر دعوتهم ، مثلما تنكر عبد الله المهدي وابنه القاسم محمد في ملابس التجار وهروبهم إلى المغرب من يد العباسيين (45) .

وقام بهذه الوسيلة أيضاً الداعي الشيعي أبو عبد الله الشيعي الذي تنكر بارتداء الملابس الخشنة من أجل عدم كشفه ومعرفة هويته ، وذلك بعد أن بلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، فأرسل إلى عامله على مدينة ميلة ليسأله عن أمره فصغره عنده وذكر أنه يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه (46) وساهم تنكره هذا في أنه استطاع أن ينشر المذهب في ربوع المغرب وأن يكسب المزيد من الاتباع في صفه (47) .

الهوامش :

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1957م ، ج5 ، ص234 ، الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمد حلاق ، ط4 ، دار إحياء التراث ، بيروت ، 2005م ، ص39 .

2- محمد الأمين موسى ، قراءة في فن التنكر ، صحيفة الصباح ، الالكترونية ، المغرب .

3- ابن حبان البستي ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، تحقيق : سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د.ت ، ص66 .

4- الطبري تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971م ، ج5 ، ص348 .

5- البلوي ، سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ص125 .

6- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : محمد محمد أمين ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992م ، ج28 ، ص61 .

7- الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تذمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج26 ، ص349 .

8- ابن الطوير ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق : أيمن فؤاد السيد ، دار صادر ، بيروت ، 1992م ، ص120 ، المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1996م ، ج2 ، ص128 .

9- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1983م ، ص229 .

10- النويري ، المصدر السابق ، ج28 ، ص331 .

11- المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص45 .

12- المقريزي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص15 .

13- ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993م ، ج15 ، ص101 .

14- المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ج1 ، ص485 .

15- أساويس بن المقفع ، تاريخ بطاركة الكنسية المصرية ، قام بنشره يس عبد المسيح ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1984م ، ج2 ، ص137 .

16- ابن دقمان ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، المطبعة الكبرى ، القاهرة ، 1993م ، ج5 ، ص101 .

17- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص229 .

18- المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص312 .

19- ابن الطوير ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص120 .

20- الكندي ، ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، ص278 .

21- النويري ، نهاية الأرب ، ج28 ، ص101 ، المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص29 .

22- نفس المصدر ، ج3 ، ص310 .

23- نفس المصدر ، ج3 ، ص301 .

(*)- وهي السفن الحربية المستعملة في القتال النهري في العراق ، انظر الخفاجي ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م ، ص171 .

24- ابن الظافر الأزدي ، أخبار الدولة المنقطعة ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2001م ، ص111 .

25- ابن أيبك الدواداري ، كنز الدور وجامع العزر الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1911م ، ج6 ، ص351 .

26- المقريزي ، إتعاظ الحمفا ، ج1 ، ص29 .

27- نفس المصدر ، والجزء ، ص62 .

28- نفس المصدر ، والجزء ، ص61 .

29- يحيي الإنطاكي ، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أو تيخا ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، طرابلس ، لبنان ، 1990م ، ص282 .

30- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م ، ج5 ، ص21 .

31- المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص204 .

32- ابن الطوير ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ص120 .

33- ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، 1994م ، ص327 .

34- عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار وفنون الآثار (أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق : مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ج6 ، ص328 .

35- الكندي ، ولاة مصر ، ص278 .

36- يحي بن سعيد ، تاريخ الأنطاكي ، ص267 .

37- المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص82 .

38- المقريزي ، المقفى الكبير ، تحقيق : محمد البعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، د.ت ، ج3 ، ص378 .

39- القميّ ، المقالات والفرق ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1993م ، ص18 .

40- المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص67 .

41- المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص29 .

42- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص229 .

43- ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج1 ، ص196 .

44- المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج1 ، ص485 .

45- ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج15 ، ص101 .

46- المقريزي ، إتعاظ الحمفا ، ج1 ، ص45 .

47- نفس المصدر والجزء ، ص57 .

الخاتمة

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

1- حالات التنكر لم تنك وليدة العصر الفاطمي بل سبقتها حالات في عصر النبوة والخلافة الراشدة والخلافة الأموية .

2- تبين أن معظم حالات التنكر التي قام بها الأفراد سواء كانوا معارضين للسلطة أم من رجالها كانت لأسباب سياسية وعسكرية بالمقام الأول ومما يؤكد نجاح أسلوب التنكر ووثيق الحاجة إليه آنذاك .

3- أوضح أيضاً أن التنكر لم يكن يقتصر على غرض محدود في العصر الفاطمي بل تعددت أغراضه من جس للنبض ، والترهيب ، والنجاة بالنفس ، وإنقاذ الملاحق سواء أكان معارضاً أو من رجال

السلطة ، ممن تم الاستغناء عن خدماته – ناهيك عن الأعراض الإنسانية من مساعدة من مساعدة الناس دون إراقة ماء وجوههم وغيرها .

4- بيّن الباحث أن التنكر في العصر الفاطمي لم يقتصر على التلثم وتغيير الزي بل تعداه إلى تغيير الهيأة (الشكل) والاسم والعشيرة بل وحتى المكان .

5- رصدت الباحثة أن حالات عديدة من التنكر ، بصرف النظر عن الغايات الأخرى ، كانت الغاية منها النجاة بالنفس ، مما يشير إلى عمق التحديات السياسية والفكرية التي كان يعيشها رجال السلطة والمعارضة آنذاك .

6- أظهر البحث أن معظم حالات التنكر كان يكتب لها النجاح لاسيما التنكر بزي النساء ، وأن بعضها لم يوظف لأهداف بنيله .

7- وأوضح البحث أيضاً التنكر في العصر الفاطمي بدافع الانحراف الاجتماعية في المجتمع للتجسس عن طريق النساء لمعرفة أخبار النساء المنحرفات .

8- وبيَّن البحث أيضاً حالات التنكر من أجل المصالح الاقتصادية للفرد .

9- وهناك تنكر من أجل نشر فكر أو مذهب معين تحدث عنه البحث .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

1- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي ، (ت 597هـ – 1201م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج15 ، 1993م .

2- ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسين القيسراني ، (ت 617هـ – 1220م) ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق : أيمن فؤاد السيد ، دار صادر ، بيروت ، 1992م .

3- ابن الظافر الأزدي ، علي بن ظافر بن الحسين أبي الحسن ، (ت 613هـ – 1213م) ، أخبار الدولة المنقطعة ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2001م .

4- ابن العبري ، أبو الفرج عز يفوربوس ، (ت 685هـ – 1286م) ، تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، 1994م .

5- ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ، (ت 555هـ – 1160م) ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1983م .

6- ابن أيبك الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله ، (ت 736هـ – 1335م) ، كنز الدور وجامع العزر ، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ج6 ، 1911م .

7- ابن تغري بردي ، أبو لمحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي ، (ت 874هـ – 1465م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تعليق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج5 ، 1992م .

8- ابـن حبـان البسـتي ، الإمـام الحـافظ أبـو حـاتم محمـد بـن أحمـد ، (تـ 354هـ – 965م) ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، تحقيق : سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د.ت .

9- ابـن دقمـان ، صـارم الـدين إبـراهيم بـن محمـد بـن أيـدمر القـاهري ، (تـ 809هـ – 1407م) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، المطبعة الكبرى ، القاهرة ، ج5 ، 1993م .

10- ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، (تـ 711هـ – 1311م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1957م ، ج5 .

11- البلـوي ، أبـو محمـد عبـد الله بـن محمـد ، (تـ 938هـ – 1532م9 ، سـيرة أحمـد بـن طولـون ، تحقيق : محمد كرد علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

12- الـذهبي ، أبـو عبـد الله شـمس الـدين محمـد بـن عثمـان ، (تـ 748هـ – 1348م) ، تـاريخ الإسـلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تذمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج26 .

13- الرازي ، زين الدين محمد بن أبي بكر ، (تـ 66هـ) ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمد حلاق ، ط4 ، دار إحياء التراث ، بيروت ، 2005م .

14- الطبـري ، أبـو جعفـر محمـد بـن جريـر ، (تـ 310هـ – 023م) ، تـاريخ الرسـل والملـوك ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971م ، ج5 .

15- عماد الدين القرشي ، إدريس عماد الدين ، (تـ 872هـ – 1467م) ، عيون الأخبار وفنون الآثار (أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق : مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ج6 ، د.ت .

16- القميّ ، المقالات والفرق ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1993م .

17- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب التيجيبي ، (تـ 350هـ – 961م) ، ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

18- المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي ، (تـ 845هـ – 1442م) ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة الأهرام التجارية ، القاهرة ، ج1 ، ج2 ، ج3 ، 1996م .

19- المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس ، (تـ 845هـ – 1442م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ج1 د.ت .

20- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بتن محمد العبيدي ، (تـ 845هـ – 1442م) ، المقفى الكبير ، تحقيق : محمد البعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج3 ، د.ت.

21- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (تـ 733هـ – 1333م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : محمد محمد أمين ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج28 ، 1992م .

ثانياً : المراجع :

1- موسى ، محمد الأمين ، قراءة في فن التنكر ، صحيفة الالكترونية ، المغرب ، د.ت .

2- ابن المقفع أساويس ، تاريخ بطاركة الكنسية المصرية ، قام بنشره يس عبد المسيح ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ج2 ، 1984م .

3- الإنطاكي ، يحيي ، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أو تيخا ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، طرابلس ، لبنان ، 1990م .

4- حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسوريا وبلاد العرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1994م .

5- تامر ، عارف ، الحاكم بأمر الله ، خليفة ، وغمام ومصلح دار الآفاق الجيدة ، بيروت ، 1982م .